الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

كتابة على الحيطان

عراقيون ولكن...

عامر القيسي

في كل ازمة تواجه العملية السياسية، تنكشف للمواطن البسيط وجوه جديدة من الطبقة السياسية كانت تحاول على الدوام اخفاء اجندتها وراء الشعارات الوطنية البراقة التي تتوضح حقيقتها باشتداد الازمات. والحقيقة والواقع كما يقول المحللون السياسيون الجدد، فان بعض هذه الوجوه قديمة، لكنها استطاعت ان تحافظ على حيوية اقنعتها حتى الازمة العراقية السورية، التي نتمنى ان تكون الاخيرة، التي تفجرت عقب جريمة الاربعاء الاسود . والموضوع لايشمل السياسيين فقط، وانما طبالييهم ايضا الذين في كل عزاء يلطمون من اجل حفنة من الدولارات!

لاحظوا ما الذي فعلوه بعد جريمة الاربعاء الاسود، خصوصا بعد ان تناثرت الاتهامات فوق الرؤوس، كما تنثر فوق العروس الدراهم! .فقد تنحت الجريمة جانبا ومسحت آلامها عنوة! وتصدت معظم النخب السياسية الحاكمة لابعاد اصابع الاتهام عن دول الجوار، كل دول الجوار دون استثناء!

فريق تصدى (تبرعا) دفاعا عن السعودية، وفريق آخر تصدى بنفس مستوى (التبرع) دفاعا عن ايران، فيما راح فريق ثالث بدفع التهمة (مجانا) عن سوريا، بينما تولى فريق رابع وهو (الافهم) في الدفاع عن كل الجيران بالجملة (حتى لايعتب عمر على زيد)!.

وهكذا كشفت لنا الجريمة النكراء عن الوجه الفضائحي لبعض النخب السياسية المتحكمة بمصير البلد، ياللحسرة! وبدلا من تراص الصف الوطني لمنع ارتكاب المزيد من الجرائم بحق الدم العراقي المهدور ومتابعة خيوط الجريمة ومحاسبة مرتكبيها ، انضوت هذه الفرق في اطار مجالها المغناطيسي السياسي، لان القضية لم تعد تحتمل الكثير من الرؤوس الدافنة رأسها في الرمال!

مهرجان التعرية السياسي هذا لم يمر من امام الوعي الشعبي العراقي، مرور الكرام، كما يقال، فقد كان المواطن يراقب المشهد الاعلامي والسياسي لـ(محامو الدفاع) وهم ينبرون بهمّة ونشاط وحميمية و دون كلل وبحماسة نادرا ماشاهدها لديهم وهم(يتصدون) لمشكلات وطنية حقيقية ولكن ببرودة اعصاب وعدم اكتراث في معظم الاحيان، بل وبقصدية في أحايين اخرى لتعطيل العملية السياسية في البلاد!

مفاجأة بمستوى الصدمة حقيقة للاداء السياسي في التعامل مع جريمة واضحة الدلالة والدليل، واضحة الاصابع والادلة، شائطة الرائحة، مجسّمة الصورة، قريبة الحدث، معروفة الاسباب. جريمة لاتحتاج الى محققين فدراليين ولا الى قارئة فنجان ولا الى الرجم في الغيب. جريمة قاسية وبليدة ترفع عنوانها بكلتا يديها لتدلك على المخطط والممول والمنفذ، واخيرا، ياللفضيحة، المنقذ والملمع والحائد عن جادة الهدف. اسئلة مطروحة بوعي ولهجة الشارع ونكبته وحزنه على اختياره لهذا الطراز من (السياسيين) الذين يدفعون بالتي هي اسوأ داخل جغرافية الوطن، وبالتي هي احسن في خارج هذه الجغرافية!

لماذا كل هذه الحماسة في تبرئة دول الجوار من الجريمة، والفتور المريب في الدفاع عن ضحايا تفجيرات (اخوة) الدين والقومية؟!

لماذا هذا السعار المحموم لتجيير الجريمة كورقة سياسية في التجاذبات السياسية الداخلية في المشهد العراقي؟

لماذا كل هذه الحمية في الدفاع عن القتلة من خارج حدود الوطن وداخله؟!

اسئلة من هذا الطراز، ان لم يجب عليها احد بروح المسؤولية، فإن الايام القادمة كفيلة بوضع النقاط على الحروف وكشف المستور عن المضموم!

ameralmada@yahoo.com

الكائن جبر.. صانع الدهشة الانسانوية في الانثربولوجيا العراقية

علي حسن الفواز

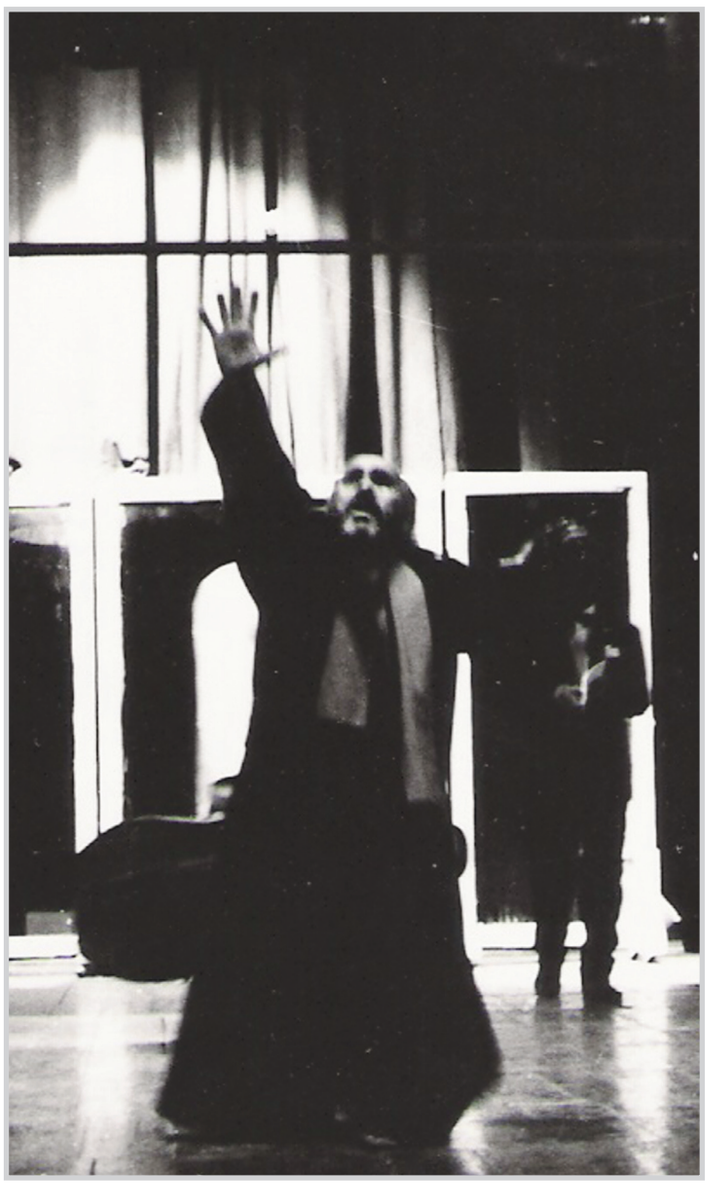

انها انثربولوجيا الكائن/الانسان الوحيد، الكائن المطرود، المقصي خارج سياق السلطة، الثروة، الجنس، الخاضع لتوصيف قهري فيه الكثير من الاشباعات الرمزية، ولعل تسمية(جبر) واحدة من اقسى التسميات التي احتوت التاريخي الاناسي لهذا الكائن واسبغت عليه شروط صانع الخطيئة الطبقية المطرود من جنة الآخرين.

الكائن (جبر) هو الكائن صفر، المتورط بسلسلة من الاغترابات والهجرات التي سحقت هويته، ووجوده، فهو الفلاح المهاجر عن ارضه وعن الفته، وهو الجندي الضحية في كل الحروب، وهو المعارض، وهو المغلول الى الهامش، وهو العرفاني البسيط الذي يؤمن ان السماء قريبة جدا، وهو كذلك المغترب عن اناسة المكان القاسي والطارد، الغائر بنوع من المازوكية الغريبة في سحريته العميقة والغامضة، الذي لا يعرف اية ملامح اخرى خارج نتوءات المكان/الام/ الذاكرة/ الرحم/المهيمن السري، لا يصدّق اية جغرافيا تنقله الى عالم السعادات المضادة المجهولة سوى تلك الاطمئنانات القديمة الدافئة والمغشوشة والتي تترك على اصابعه ملمسها الخشن دائما، او تلك التي يستاف غبارها ويشمّ رائحتها المدوخة والمهيجة دائما منذ ان ادرك لحظته الوجودية في الطبيعة الفيزيقية وفي امكنة شاردة وقصية.

هذا الكائن، هو المواطن الاول، الفطري، الخارج عن بياض الاشياء بسواد احتراقاته، هو الهامشي الذي يصطنع وجوده بافراط عند متن لا يطمئن اليه ولا يسيل خارجه كأي كائن او موطن آخر له الحق الكامل في المعيش والوجود والرفاهية. لايملك خيارات واسعة خارج تلك (الانثربولوجيا) المفروضة عليه من قبل مصادر غامضة لها مرجعيات في قوة السلطة والنص والايديولوجيا والمهيمن والمقدس. وربما هو اكثر توهما باصطناع اشكال من الطقوس والمخاوف الفنطازية التي تقرّبه من فكرة المضحي، تلك الفكرة التي توهمه بالخضوع والبطولة والحنين الى اوهامه الغائبة. موروثه الهائل من الخوف يجعله حذرا من وهم الخطيئة وفي الافصاح عن الاباحة أوالكشف عن غواية التشهي.

نزوعه للانفلات خارج حرية المتن/المركز المضاد والطارد والقامع لهامشه، تمثل مصدر لقوته السرية، تلك القوة التي تكمن في الطقوس والاضاحي والفداء، والتي تجعله الاكثر شراهة في مواجهة القوى الغامضة التي توغل في استلابه ورعبه. هو يذهب بعيدا باتجاه سردته الفردية، بمواجهة سردية الجماعة، الجماعة التي تنتهك اية رغبة لديه لصناعة الاسئلة، لذا يتمظهر هذا الكائن الاول المستلب بلذته عبر مهيمنات ظواهر العزلة التي تثير فيه شجون الحزن في الغناء والانشداد الى طقوسه كلذة عميقة، لذة تعويضية، عبر الرثاء، والتماهي الرمزي مع الغائب، وعبر ارتداء الاسود كلون ايهامي لهذا الحزن. الكائن جبر يلتذ بسرده الفردي باعتباره اكثر كائنات الانثربولوجيا العراقية اثارة في مواجهة النسق العمومي، نسق الجماعة والمكان واللون..نسق الهوية.. نسق الفقر..نسق الايديولوجيا.

هل هو حقا الكائن صفر؟ وهل هو الكائن (جبر) كما اسمته المثيولوجيا الشعبية؟ وهل هو حقا الكائن الذي انتهك نظام المكان الطبقي/سطوة نظام المال والمكان المعرفي/ سطوة المكتبة والمدينة والمكان البضائعي/ السوق كما يقول البرجوازيون الكبار والصغار؟ وهل انتهك حقا نظام السعادات ومخيال الرفاهية والمعيش رغم انه ظلّ عند هامشها و لم يتمتع بها اطلاقا ولم ينسجم مع قواعد لعبتها وفروضها؟ وهل هو حقا كائن لايؤمن الاّ بمثيولوجيا المقدس، تلك التي تمنحه حرية عميقة، لايلمسها، لكنه يلتذ بها. هذا المقدس الرمزي الايقوني الاكثر منه مقدسا نصوصيا؟ وهل انه وتحت سطوة هذه المهيمنات، ينظر الى المدينة على انها رمز اغوائي ملعون وانها تشبه مدن (عاد ومدين) في اساطيرنا الدينية، تلك المسكونة بأحاجي اللعنات وطرد الانبياء؟ هذه المدينة لم تهضم قدومه من جنته الطاردة المفترضة في الجنوب الزراعي الرومانسي الذي تسللت اليه الوحشة السياسية برعب مخيف...

لاشك في ان هذا الكائن الاولي رغم كل خوفه ومطروديته، ظل مغامرا، متلصصا، يحاول ان يقترح السكنى عند التخوم، للايهام بتجاوز فوبيا احساسه بانه مطرود من المتن المديني التجاري ، ربما للانشداد الى سرديات حكواتية كان يرددها الآباء والجدات، تلك التي تقوم على سحرية الفقير والتاجر، ومثيولوجيا الجنيات التي توهب الغنى. هذه الاوهام كانت تمنحه الاحساس بالتعالي على رمزية التخوم /الهوامش / فضاء الصرائف، والتي هي الاقرب الى جنته القديمة الشاحبة البعيدة والطاردة والفاقدة لرومانسيتها، لكنه ظل رغم كل هذه الغوايات يبحث اطمئنانات غامضة، ربما هو يبحث في توليدات اخرى لأسئلة لم تزل طرية وهي تبث اسئلة اخرى.

هذا الكائن المدهش الذي غيّر طرق الحرير الى المدن الشمالية، والذي غيّرسايكولوجيا الثورات والانقلابات وعقائد الاحزاب، وربما هو الذي غير ديموغرافيا المدينة المغلقة،ظل يبحث عن تجليات روحه اللائبة وسط كل هذه الترحالات. الدولة السياسية الوطنية والقومية والعسكرية والايديولوجية، هي دولة المدينة، ودولة الطبقة تلك التي حاصرته كثيرا بالتوصيفات القاسية، الطاردة، همشت دوره في نظامها السياسي والتجاري وسايكولوجيتها المفرطة. المؤسسة العسكرية في دولة المدينة والنظام الصارم حولته الى الجندي البسيط الحالم الساذج الذي تقسره لكنته وحروفه المعطوطة في نسق ثقافي ولغوي ومكاني ووظائفي محدد ومفروز تماما!! لذ ا كان هذا الكائن يمارس الحزن بنوع من المازوخيا الهائلة عبر طقوس المثيولوجيا، يستحضر كل شفرات الموت الرمزي عبر مثيولوجيا الشهداء الرمزيين وفي شفرات التاريخ والامكنة، لان هذا الحزن هو نصه التعويضي، نصه الذي يهدد ايديولوجيا المدنية القاسية الطاردة، حتى بات هذا الحزن العلني وطقوسه البكائية وكأنه لعنتها ولعنة السلطة والايديولوجيا التي باتت تطارد مريديه وصانعي طقوسه.

هذا التاريخ الطويل من الطرد الاخلاقي الممنهج هو الذي جعله الاكثر خضوعا لسايكولوجيا التوصيف، وربما هو الذي جعله الاكثر اغترابا في المكان والوعي واللغة والثقافة، والاكثر اندفاعا الى تجاوز عقدة التراكم في ثنائية الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول التي استغرقته كجزء من ثقافته الدينية المثيولوجية والضاغطة، واحسب انها اصبحت جزءا من اندفاعه نحو حصون السلطة بكل دلالتها السياسية والدينية، والتلصص على اسرار ثقافات ولهجات طبقية يكرهها دون سبب سوى ان مثيولوجياه النكوصية تضعها في السياق المضاد. لقد اصبحت (رغبة) التلصص والتسلل هي سر وجوده منذ ان تحولت تلك المدن الاقتصادية والسياسية والمدن الثقافية الطبقية الى مدن للانقلاب والطرد! وصار لها متون مهيمنة وقلاع تؤشر نمط الخطاب والنوع البشري او النوع العسكري الذي يحدد طبيعة الكائن المديني وينعت خارج هذا التوصيف بالوحشية تارة والبداوة تارة اخرى،حتى بعد تفكك المدينة القديمة امام تحولات المدن العسكرية والمدن السياسية والتجارية والتي تغيرت عاداتها وقيمها واتساع انماطها في السوق والتبادل السلعي ونظم التعليم ونظم السياسة ونظم التعليم /المدارس النوعية/الجامعات، والتعليم الديني /المساجد الكبيرة/الحوزات/ المراقد /المدارس الدينية...

كل هذه التحولات اخضعت النمط الى تغايرات بنيوية عميقة خاصة مع ظهور الايديولوجيا كقوة انطولوجية خارج مهيمنة المكان وصياغتها لشروط اكثر تعقيدا ارتبطت بنشوء الاحزاب السياسية كقوة مقابلة لسلطة العشيرة/القبيلة/ الكارزما الاجتماعية والاقتصادية والدينية ،،لكن هذه التغايرات كرست نمطا ثقافوية المدينة خاصة ما بعد الحرب العالمية الثانية اذ بدأت حركة الانتقال الجماعي من الريف الى المدينة التجارية والمدينة السياسية التي حصنت نفسها بمجموعة من التوصيفات والسمات والحصون الرمزية جعلت من كل الداخلين لها مغلولين الى شكل قهري من الثقافة والانتماء والعلاقات الاجتماعية.

هذا الكائن الانسانوي المرعوب المسمى بـ(جبر) في مثيولوجيا الفقراء الذي تتحسس المدينة التجارية من تسلله وتلصصه على عريها واسرارها، والتي طردته من سعادتها، وادخلته المدينة السياسية اوهامها وإغواءاتها لانها مدينة تحرق ابناءها دائما، ومنحته الايديولوجيا افراطا وجوديا لم يستثمره ولم يصنع منه نسقا طاردا ازاء كل تاريخ الثقافات القديمة التي اقصته وتركته خاضعا لسايكولوجيا الغياب والتهميش وتوحش الاسماء والنعوت.

الكائن جبر/الكائن صفر تماهى هو الآخر مع هامشيته !!وتلذذ بها ،وانتج لها نسقا وحصنا وربما شكلا ثقافيا دخل في اطار الثقافات المتداولة ،ولم يتحول الى ثقافة متحف اسوة بنمط الثقافات الاجتماعية الاخرى في المجتمع العراقي..

ان المدينة العراقية القاسية التي همشت الكثير من الهويات، كانت مدينة مركّبة، اختلط فيها السياسي والتجاري، وربما جعلت من الكائن (جبر) اشبه بالاراجوز الذي يثير السخرية اولا، لانه يمارس لعبة التلصص على مدينة المال /مدينة البرجوازيين والتجار وسليلي الدولة الطاردة لابناء التخوم، ولانه بدأ يكشف عن مظاهر تفكك هذه المدينة امام زحف الثقافات المغايرة والانماط التي تكشف عن حماقة النوع الاقتصادي/التجاري القديم الذي اطمئنت اليه هذه المدينة ثانيا، مثما جعلته يمحو الكثير من حدود الوهم التي استغرقت جسد المدينة الطبقية وطبيعة عزلتها ،لتنكشف المدينة/المتن عن فراغ ووحشة امام كائنات الهامش الاكثر شراهة واندفاعا..

ازاء هذا نجد ان الكائن (جبر) بطل انثربولوجيا المكان، يملك تاريخا هائلا رغم عدم تدوينه في مواجهة مرجعيات القوة والهيمنة التي تكرست في المكان/ المدينة، والتي طردته خارج فردوسها الجغرافي والجمالي والاقتصادي والسياسي والعسكري..فهذا الكائن الذي عاش ترحالات الامكنة وقسوة العلاقات الطبقية والاجتماعية بكل بدائيتها الزراعية وهشاشتها.

لم يطمئن الى المدينة ذاتها، تلك التي تضعه عند الهامش دائما، واستمرأ بالمقابل السكنى عند تخوم المدن وصرائفها وصفيحها، ربما لانها تشبه امكنته الغائبة، وربما لانها تبعده عن قسوة الصراع الذي لا يريد ان يكرره !!اذا ظل يعيش احساسات العزلة ،كلما ظلت المدينة التجارية والسياسية تطرده باستمرار، اذ مارست معه المدينة سلسلة من المطروديات، حيث اصابته بالاغتراب وزحفت على هامشه وتخومه ايضا، مثلما حدث في مدن الهامش (العاصمة،الشاكرية،الميزرة/المجزرة) والتي اقترحت لها فيما بعد هوامش جديدة تتماهى مع الهامش القديم (مدينة الصدر،الشعلة، الحسينية، بيوت الصفيح او ماتسمى بالشيشان) ازاء كل ذلك لم يستطع الكائن جبر ان يتجاوز عقده في المكان، وان يفضّ اشتباكات حنينه الملتبس عبر ايجاد شفرات رمزية تعويضية، اذ ظل كائنا مهووسا بالحنين، فضاءت المدينة الجمالية /الفنية لم تسحبه الى متنها الكبير، مثلما لم يصطنع هو انساقا خارج ثقافة المدينة (المقام،المسرح، الاغنية المدينية،المقهى)

ظل جبر يملك فحولة الفراغ، يؤسس انماطه في الهامش وحتى التحولات التي حدثت فيما بعد مثل نشوء الاذاعة العراقية واتساع ظاهرة الملاهي، ظل هو محدود الفاعلية في اطار حفلات معينة او في اطار التلذذ بنمط الفرجة والاستعراض في المقاهي والمباغي والملاهي الليلية. فضلا عن جبر ظل يغترب في متاهة الامكنة منذ الستينيات، فهو الضحية دائما في حروب الشمال، وهو كذلك الضحية الاكثر آثارا في حروب الثمانينيات، حيث الجبهات الواسعة والحجابات والموتى المؤجلون، اذ كان صاحب فكرة الموت المؤجل.. لم يشأ جبر ان يتخلص من عقده، ولم يشأ ان يكون الاّ الضحية الاخلاقية والشرعية والطبقية لكل الذين يصنعون الافكار والموتى، فهو ضحيتهم الاثيرة، وضجيجهم الدائم، ومريدهم الغريب..

حقا حينما قالوا ان جبر جاء من هنا وذهب الى هناك دون اسئلة ودون كنوز..انه يختصر انثربولوجيا الاغتراب العراقي والحزن العراقي والموت المفتوح على شهداء مسكونين دائما بفكرة الضحية..

الهند تقدم على خطوة تربوية ملحّة

د. عبدالله المدني

بعد سنوات من التلكؤ والتردد، خوفا من حدوث ردود أفعال غير مستحبة أو انفماس البلاد في دوامة جديدة من العنف الديني والطائفي، أقدمت الحكومة الهندية مؤخرا على اتخاذ خطوة شجاعة تقضي بدمج آلاف المدارس الدينية الإسلامية المنتشرة في طول البلاد وعرضها في مسيرة التعليم الرسمي التي يغلب عليها الطابع العلماني ويهدف أساسا إلى الحصول على مخرجات تعليمية كفوءة تتناسب مع حاجات العصر وأسواق العمل، وليس مجرد وعاظ وفقهاء. حيث أنشأت نيودلهي قبل نحو شهرين مجلسا حكوميا لإدارة المدارس المذكورة، بحيث يكون للأخير سلطة صياغة الإطار العام للمناهج كوسيلة من وسائل تحديث وعصرنة مؤسسات التعليم الإسلامية وتخليصها من وصمة "أوكار الإرهاب" التي باتت تلاحقها في السنوات الأخيرة.

وبطبيعة الحال فان باكستان لو كانت قد أقدمت على مثل هذا العمل مبكرا لما نمت فيها الجماعات الميليشاوية الخارجة على القانون والنظام، والمنغمسة في التخريب والفوضى ونشر النزاعات المذهبية والشعبوية، ولما اشتد ساعدها إلى الدرجة التي صارت معها تهدد وجود الكيان الباكستاني نفسه. ولا حاجة لنا هنا إلى الإشارة إلى نماذج من قبيل جماعة طالبان باكستان وجيش محمد وأنصار السنة ولاكشار طيبة أو إلى أحداث من قبيل حادثة المسجد الأحمر للتدليل على أن ترك إسلام آباد الحبل على الغارب للمدارس الدينية ومناهجها طويلا من اجل إضفاء الشرعية على كيانها المسلم، كان وبالا عليها وعلى جوارها الإقليمي أيضا.

وعلى الرغم من أن القرار الهندي أكد عدم نية الدولة في التدخل في تفاصيل ما يدرس في المدارس الإسلامية من مواد دينية، وأن تركيزها سينصب على حقن المناهج بجرعة أكبر وأحدث من علوم العصر كالرياضيات والفيزياء وعلوم الحاسوب والاقتصاد واللغات الاجنبية، فان عددا من رجال الدين المسلمين، ولا سيما أولئك الذين تخرجوا أو تربوا في أحضان مدارس دار العلوم. سارعوا إلى التشكيك في القرار الهندي ووصفوه بأنه محاولة لسلخ الهوية الدينية للمسلمين الهنود. في الوقت ذاته عقب آخرون بالقول أن قرار نيودلهي سوف يؤدي إلى ضعف مخرجات التعليم الإسلامي، بحيث ستجد البلاد نفسها في المستقبل أمام فقهاء لا يعرفون صحيح الدين أو قليلي المعرفة في أمور الشرع والحديث والتفسير وبالتالي يعلمون الأجيال المسلمة ما يضعف عقيدتهم. وقبل أن نسترسل، لا بد من الإشارة إلى أن دار العلوم الذي يوازي في مكانته مكانة الأزهر في مصر تطورت من مجرد مدرسة ديوباندية – نسبة إلى بلدة ديوباند التي تبعد بنحو ١٠٠ ميل إلى الشمال من دلهي – إلى مركز للعلوم الإسلامية في عام ١٨٧٩، ثم صارت تدريجيا الحاضنة لشبكة معقدة من المدارس الدينية الإسلامية على مستوى الهند كله.

ولا يحتاج المرء إلى كبير عناء ليكتشف أسباب المقاومة الفجة لقرار الحكومة الهندية. فالقرار سيحرم حتما أصحاب اللحى والعمائم من مدرسي الفقه الهنود من الكثير من سطوتهم ونفوذهم في أوساط العامة من المسلمين، كما سيحرمهم من العطايا والموارد المالية التي تأتيهم من الخارج لدعم مدارسهم، ويخضع طرق إنفاقهم للأموال للمحاسبة والتدقيق.

لقد قاومت المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية منذ زمن الاستعمار البريطاني جميع أشكال التحديث والإصلاح بحجة أن وراءها نوايا استعمارية شريرة تهدف إلى تغريب المجتمع والفرد المسلم في الهند. غير أن الإنصاف يدعونا في هذا السياق إلى الإشارة إلى بعض الجهود التي قام بها عدد من التنظيمات الإسلامية لجهة الجمع ما بين الموروث والحداثة في المنهاج والمسار التعليمي في المدارس والمعاهد التابعة لها (بغض النظر عن الأهداف). وبعبارة أخرى قامت تلك المنظمات – وعلى رأسها "الجماعة الإسلامية" التي أسسها أبو الأعلى المودودي (ملهم سيد قطب والإخوان المسلمين) – بطرح نمط من المعاهد الإسلامية، لا هي تقليدية على الإطلاق ، ولا هي عصرية على الإطلاق. فمثلا على حين انه لم يكن هناك في المعاهد الإسلامية التقليدية مكان لمواد عصرية أو حتى للقليل منها، فان النمط الجديد كان يدرس منهاجا اقرب لجهة المواد إلى منهاج الدولة الهندية العلمانية – لكن بعد تعديل وتشذيب مضامين بعض المواد لتتناسب مع العقيدة الإسلامية. وعلى حين كانت المعاهد التقليدية تركز على تدريس الفقه والشريعة الإسلامية دون سائر الأديان، فان النمط الجديد سمح بإعطاء الطالب فكرة عامة عن مختلف الأديان الأخرى كي يتمكن من فهم أفضل لشركائه في الوطن من غير المسلمين. وعلى حين كانت المدارس التقليدية تتبع في معظمها إلى مذاهب معينة، فان النمط الجديد من المعاهد ابتعد عن ذلك واتخذ موقفا محايدا من جميع المذاهب والفرق الإسلامية في مناهجها. وعلى حين كان هدف المدارس التقليدية تخريج أكبر عدد ممكن من القضاة الشرعيين والفقهاء والمفسرين، كان هدف النمط الجديد من المدارس تخريج طلاب في معظم التخصصات الحديثة (طب ، هندسة، قانون، صحافة، اقتصاد) وان ركزت على منحهم جرعة دينية، وذلك من منطلق المبدأ الاخواني المعروف بضرورة إيجاد كوادر اخوانية في مختلف التخصصات للقيام بالأدوار المنوط بها مستقبلا في إقامة الدولة الإسلامية. والجزئية الأخيرة يمكن أن تستشف من خطاب ألقاه المودودي بنفسه في البنجاب في عام ١٩٤٤ (أي بعد ٣ سنوات من تأسيس جماعته)، وذلك حينما دعا إلى خلق نظام تعليمي للمستويات الثانوية والإعدادية والابتدائية، لا يخرج العلماء فقط وإنما أيضا من سيقود الدولة الإسلامية الموعودة في مختلف المجالات والتخصصات الضرورية.

بعد تقسيم شبه القارة الهندية واضطرار المودودي وأنصاره للهجرة إلى باكستان، لم تتجمد فقط المشاريع المذكورة وقتيا، وإنما انقسمت الجماعة الإسلامية أيضا إلى قسمين: قسم سجل نفسه في باكستان كحزب سياسي بقيادة المودودي، وقسم آخر اتخذ لنفسه اسم "الجماعة الإسلامية – الهند" و اكتفى بدور اجتماعي وثقافي بعيدا عن الانغماس في السياسة بحكم واقع المسلمين الهنود كأقلية وسط بحار من الهندوس. غير أنه في سبتمبر/أيلول ١٩٤٨ اجتمع قادة القسم الأخير لوضع نظام إسلامي للمدارس الابتدائية والإعدادية في الهند، تحت تبرير أن الطفل المسلم إذا ما ترك في أيدي مدرسي ومناهج السلطة، فانه سيفقد شيئا فشيئا هويته الدينية. وبهذا اختارت الجماعة الإسلامية أن تتدخل في أمور التربية والتعليم الرسمية بحجة أن من حق الهندي المسلم أن تكون له مدارسه ومناهجه الخاصة المختلفة، على الأقل حتى المرحلة الثانوية، أي إلى المرحلة التي يملك المرء فيها درجة من الوعي تمكنه من الاختيار والتمييز.

ولم يكتف الفرع الهندي من الجماعة الإسلامية بذلك بل سارع إلى إعداد المقررات الدراسية ودفعها إلى المطابع. حيث شملت مقررات المرحلة الابتدائية: دراسات عامة في تجويد وحفظ القرآن، مبادئ اللغات العربية والاوردية والهندية والإنجليزية، الرياضيات، التاريخ، الجغرافيا، المعلومات العامة. بينما شملت مقررات الصفوف الأعلى: القرآن والحديث والفقه و أحكام الشريعة، اللغة العربية، الإنجليزية، المعلومات العامة، العلوم السياسية، الاقتصاد. وما يجدر بنا ذكره هنا هو أن كل المقررات المذكورة صنفت واعدت وطبعت وفقا لإرشادات وتعاليم المودودي. فمثلا في كتب الرياضيات كانت الأرقام والمسائل الحسابية تعرض من خلال الحديث عن الزكاة الشرعية أو الميراث الشرعي، وفي كتب العلوم كانت الأمثلة تستمد من السور والنصوص القرآنية، دون أدنى إشارة إلى تفاصيل الاكتشافات العلمية.

وظل الفرع الهندي يعمل بنشاط في مجال تطبيق برامجه التعليمية الخاصة، بل وأضاف إليه برامج وأنشطة أخرى مثل تأهيل الكوادر البشرية وتمكنيهم من معرفة ما يدور في العالم من تطورات سياسية، إلى أن جاء عام ١٩٦٠ الذي شهد وقوع الجماعة في مصاعب إدارية ومالية، الأمر الذي اضطرت معه إلى إغلاق أبوابها، لتعود وتفتحها مجددا في عام ١٩٨٦ بإدارة مكونة من ٩ أشخاص على رأسهم العضو القيادي "مولانا يوسف إصلاحي". وطبقا للأخير فان الجماعة تسيطر اليوم على ١٦٧١ مدرسة ابتدائية، و٦٥ مدرسة إعدادية، و٥١ مدرسة ثانوية، علاوة على ١٥ معهدا للعلوم التقنية.

ومما لا شك فيه أن ما قامت به "الجماعة الإسلامية – الهند"، وموقف الدولة المهادن لها، شجعت جماعات إسلامية أخرى على تحرك مشابه. ففي عام ١٩٦٢ انفصلت عن الجماعة الإسلامية مجموعة أطلقت على نفسها "جماعة الفقه". وهذه اتخذت من شرق ولاية "أوتار براديش" الشمالية معقلا لها وراحت تؤسس مدارس إسلامية أطلقت عليها وصف "الحديثة". وكي تميز نفسها عن غيرها، حصرت التعليم الابتدائي في سبع سنوات والتعليم الثانوي في سبع أخرى، علاوة على برنامج مدته خمس سنوات لنيل لقب "عالم" وبرنامج آخر يعقب الأخير لمدة سنتين (وتدرس فيه مواد الصحافة والغرافيك والأديان المقارنة والدعوة واللغات الهندية والسنسكريتية والرعاية الاجتماعية والتربية) كي يحصل المنخرط على لقب "عالم فاضل".

ولا يكتمل حديثنا دون التوقف عند مدارس الفلاح التي أسسها في مطلع القرن العشرين رجل الأعمال والخير الخليجي الحاج محمد علي زينل. فهذه المدرسة التي تعد واحدة من اكبر المدارس الإسلامية في الهند (في عام ٢٠٠٤ كانت تضم ٥٠٠٠ دارس بينهم ٢٧٠٠ طالبة يدرسن في قسم خاص، فيما كان عدد المدرسين والمدرسات ١٢٠) وتتميز هذه المدارس عن غيرها بأنها التزمت تدريس طلابها حتى الصفوف العليا للمرحلة الإعدادية وفق مناهج الحكومة الهندية دون تعديلات، علاوة على تدريس مواد إضافية اختيارية، ومنح كورسات خاصة في الدراسات الإسلامية واللغة العربية والإنجليزية والجغرافيا والتاريخ والرياضيات والأديان المقارنة والسياسة والاقتصاد. ومؤخرا فرضت هذه المدارس على طلابها مناهج الكومبيوتر وتقنية الحاسوب.

ولهذه الأسباب مجتمعة، نجحت مدارس الفلاح أكثر من غيرها في فك جدار العزلة المفروض على طلابها، وفي تهيئتهم بصورة أفضل للاندماج في مجتمع فيه الكثير من الفرص، لكنها فرص تحتاج إلى متطلبات تعليمية معينة لا يوفرها معظم المدارس الدينية.

وربما للأسباب نفسها، فان شهادات مدارس الفلاح الإسلامية باتت مقبولة في معظم الجامعات الهندية وجامعات مصر والسعودية، ما يعني خيارات اكبر أمام أصحابها لمواصلة دراستهم الجامعية.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com